مساهمة جامعة مركز الثقافة السنية الاسلامية في تطور اللغة العربية في شبه القارة الهندية

د.أبوبكر أحمد النظامي الأزهري

علاقة الهند بالعرب قديماً :

كانت للهند علاقة قوية مع العرب قبل دخول الإسلام في هذا البلد المبارك، و لكن كانت علاقة تجارية فقط، تعلّم الهنود اللغة العربية لكثرة رحلاتهم إلي البلاد العربية في الشتاء و الصيف. وقد توجه دعاة المسلمين إلي الهند في عهد الرسول صل الله عليه وسلم.

أهمية اللغة العربية عند الهنود :

اهتم المسلمون في شبه القارة الهندية اللغة العربية واعتنوا بها كل الاعتناء إلي أن تفوقوا في تعليمها و ترويجها، وأقاموا المعاهد والجامعات والمدارس و المكاتب في أكثر مدن الهند و قراها. فكان المسلمون في احتياج عظيم إلي تعلم هذه اللغة السنية لفهم القرآن الكريم والحديث النبوي و اهتموا كل الاهتمام إلي أن قيل " نزل القران في العرب، و قرئ في مصر، و فهم بالهند".

ولما انتشرت العلوم و المعرفة، أنشئت المساجد والمدارس في مختلف مدن الهند وأقيمت فيها الحلقات الدراسية، وكان العلماء الكبار يدرسون طلابهم الدراسات العليا واستمرت كذلك علي مر السنين و القرون. وأسس في الهند عدد كبير من المدارس والمعاهد التعليمية ولعبت هذه المدارس دوراً هاماً في إنعاش المسلمين الديني والتربوي، ويجدر بالذكر من هذه المدارس في بجنوب الهند (حيث يلاحظ في المسلمين شغف عظيم وولوع بالتعليم الديني) المدرسة النظامية بحيدرآباد، هي من أقدم المدارس الإسلامية للتعليم العالي في الهند، أسسها شيخ الإسلام محمد أنوار الله خان الفاروقي في حيدرآباد سنة ١٨٧٦ م. كما تعتبر كلية الباقيات الصالحات في ويلور منارا للغة العربية والعلوم الدينية، التي ذاع صيتها في أرجاء الهند كلية راقية دينية في جنوب الهند.

ولولاية كيرالا أيضا علاقة وطيدة للعرب والعربية من قديم الزمان، وهذه العلاقة بدأت كعلاقة تجارية منذ أمد بعيد لم يعرف تاريخه، ثم تطورت هذه العلاقة بعد ظهور الإسلام فيها كعلاقة دينية وثقافية وحضارية.

وقد سجل في تاريخ مليبار أنّ الدين الإسلامي قد انتشر في ربوعها بأيادي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، ولما وصل الصحابة رضي الله عنهم إلى ساحل مليبار بالدين الإسلامي عرف الناس منهم دينا جديدا لم يعرفوا من قبل، ووجدوا عادة طيبة لم تمارسوها من قبل، وكانت بيئتهم الدينية والاجتماعية حينئذ خبيثة جدا وسيئة إلى الغاية، فوجدوا نجاتهم المنشودة في الدين الإسلامي، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا.

ومن الملاحظ أنّ من دخل الإسلام يضطر إلى تعلم بعض الكلمات العربية، ليصح بعض عباداته، كسورة الفاتحة، لأنه يجب تلفظها بالعربية في الصلاة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب"، ومن هنا يبدأ إجباريا تعلم اللغة العربية وتعليمها. وقد تدرج هذا التعليم تدريجيا في ربوع كيرالا، ثم تطور تطورا واسعا على مرّ القرون والعصور، حتى توجد اليوم آلاف من المعاهد التى تدرس فيها اللغة العربية.

كلنا نعرف أنّ اللغة العربية هي لغة رسمية لديننا الحنيف، ولغة أمّ لنبينا الكريم، ولغة نزل بها القرآن الكريم، ودوّنت فيها الأحاديث النبوية، وكتبت بها الأحكام الشرعية، فيجب على المسلمين تعلم اللغة العربية وتعليمها، والحفاظ عليها.

ولعلماء كيرالا مساهمة جليلة في

مجال اللغة العربية قديما وحديثا، وقد بدأت دراسة اللغة في ربوع كيرالا منذ ظهور الإسلام، رغم ذلك أنّ صورة دراسته حتى القرن التاسع الهجري مازالت مجهولة حتى الحين، وفي القرن التاسع نشأت المدرسة المخدومية ببلدة فنان، فتطورت دراسة اللغة فيها تطورا واسعا، وازدهرت إزدهارا كبيرا، وقد اهتم أبناء كيرالا باللغة العربية اهتماما بالغا، واعتنوا به اعتناء كبيرا، تكلما وتعلما، وتدرّسا وتدريسا، وقد أنجبت ديار كيرالا جمعا غفيرا من اللغويين النابغين، ذاع صيتهم في الآفاق، قد ألفوا في اللغة العربية أحسن الكتب وأروعها وأتقنها وأجودها، ويمتاز أهل ولاية كيرالا بشغفهم باللغة العربية وتمسكهم بها، ولهم مدارس منتشرة في المديريات والمدن الكبيرة وما يتبعه من القرى، تعلم فيها اللغة العربية، ومن أشهرها جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية.

بدأت دارسة اللغة العربية وتطورها في ولاية كيرالا بنظام مقرر على يد الشيخ الفاضل زين الدين المخدوم الكبير، هو الذي سافر إلى مصر، والتحق بجامع الأزهر، وأخذ واستفاد عن علمائها الأجلاء، ثم رجع إلى ولاية كيرالا بأمهات الكتب الدينية واللغة العربية وغيرها، وأسس الجامع الكبير ببلدة فنان، وتصدر فيه للتدريس، فارتحل إليه الطلبة من كل فج عميق، ومن هنا نشأت المدرسة المخدومية بمليبار، ولاية كيرالا.

وبعد ظهورالمدرسة المخدومية تطورت في ولاية كيرالا دراسة اللغة العربية – كسائر العلوم والفنون– تطورا واسعا، وازدهرت فيها ازدهارا كبيرا، ثم استمرت مسيرة هذا التطور والازدهار في القرون التالية، وقد تخرج فعلا من المدرسة المخدومية جمع غفير من الأعلام الأجلاء، وقد قدّموا مساهمة جليلة ومشاركة كبيرة في تطوير دراسة علم اللغة فيها.

هذا وتأثيرا من تشجيع المدرسين في تعلم اللغة العربة وحفظها والاهتمام بها أنّ تلاميذ دروس المساجد والمعاهد الدينية التقليدية في منطقة مليبار بالغوا كل المبالغة في العناية والاهتمام باللغة، وينفقون جل أوقاتهم النفيسة في تعلم علم اللغة ونحوه وحفظ قواعده، وتحقيق معاني الكلمات وتركيبها وإعرابها وبنائها، وربما يتركون ما هو أهم منها.

جامعة المركز: نموذج ممتاز في مجال خدمات اللغة العربية

مدينة كاليكوت مدينة تحمل في طياتها حضارة وطيدة تمتد جذورها الى قدم التاريخ، وكانت سواحل هذه المدينة مقرا لأولئك التجار العرب والبريطانيين والبرتقاليين. يتألف تاريخها الحديث من تراثها التليد وحضارتها العلمية، وقد لعبت مساهمات العلماء البارزين وآثارهم المنقطعة النظير دورا ملحوظا في تقدم وتطور هذه المدينة العريقة مما أنتجت معاهد تعليمية وصحوة دينية مرموقة.

وجامعة مركز الثقافة السنية الاسلامية التي تأسست في مدينة كاليكوت في ولاية كيرالا سنة ١٩٧٨ م معهد يهدف الى ترقية الأقليات على الوجه العام والأمة المسلمة على الوجه الخاصة. ولم يكن يتوفر فيها منذ فجرها الا امكانيات زهيدة لتعليم عدد قليل من الطلبة الأيتام الذين ينحدرون من أسرة فقيرة بائسة، لتصبح اليوم دوحة كبيرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها بعد أن قطع شوطا كبيرا من أربعين سنة للتطورات والتقدمات.

وصارت الجامعة المركز اليوم منارة شامخة للتعليم الديني والحضارة الانسانية حيث تشرف على مئات المعاهد الدينية والتعليمية وثلاثين كليات اسلامية على طول خمس عشرة ولاية هندية ويدرس فيها خمسون ألف طالب وطالبة في مختلف شعبها ومعاهدها وكلياتها.

والكليات التي تحت جامعة المركز تهتم بجانب تطوير الذات لدى الطلبة وتسعى لتنمية مهاراتهم اللغوية في جو تسوده القيم الأخلاقية. وتتميز كلية المركز للآداب والفنون لإمكانيات العصرية وتوفر المؤسسة الفنية تسهيلات حديثة ودورات الجيل الحديث.

وتحتل كلية الشريعة التابعة لجامعة المركز المركز الأول في قائمة المعاهد الإسلامية في بلاد الهندية، والتي تخرج علماء مهرة حاذقين في علوم الإسلامية حيث تخرج فيها زهاء عشرة آلاف علماء متبحرين وقد نالت كلية الشريعة على موافقة جامعة الأزهر الشريف في القاهرة ودار المصطفى في التريم اليمن. كما أنها حصلت على موافقة جامعة علي كرا وجامعة همدرد وجامعة ملية بنيو دهلي.

وكلية العلوم والدرسات العليا معهد تشرف عليها الجامعة هدفا منها الى تزويد الطلبة المهرة بالعلوم الإسلامية واللغة العربية الى جانب تأهيلهم في الدراسات الإدارية. والذين تخرجوا في هذه المدرسة يلعبون دورهم البارز في مجال الدعوة الإسلامية في أقطار العالم. كما أن هذه

المؤسسة يدرس فيها طلاب من مختلف الدول مثل كاندا وماليزيا وسنغافوارا والمملكة المتحدة وفيجي وغيرها.

انتباه ملايين المسلمين وغيرالمسلمين وتقوم حاليا بتخطيط منظم للقيام بما ينهض بالأمة الإسلامية في الهند علميا وثقافيا وقد عم عطاء هذا الصرح جميع أطوار حياة الأمة وذلك بإمداد المسلمين هنا بكل ما يحتاجونه من مساعدات إنسانية وأعمال خيرية ومشاريع علمية وما إلي ذلك ومن هنا ينتظر المسلمون له مستقبلا موعودا في الهند وعلقوا عليه أملا كبيرا في تحقيق أمنياتهم.

دور فضيلة الشيخ أبوبكر أحمد، مؤسس الجامعة في تنمية اللغة العربية وثقافتها

الشيخ أبوبكر أحمد الباقوي المليباري، عالم وفقيه وداعية إسلامي كبير في الهند ومشهور في العالم الإسلامي بخدماته ومحاضراته، كما أنه رجل أكاديمي يبذل قصارى مجهوداته لترقية الأمة الإسلامية والأقليات في الهند ساعيا ضد الأمية والتخلفة الشائعة في الأمة.

ولد بقرية كانتابورام في منطقة مليبار بولاية كيرالا في تاريخ ٠٢ ربيع الآخر ١٣٥٨هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٣٩م و تعلم العلوم على أيدي كبار العلماء البارزين والمشايخ العظام مثل العلامة الشيخ زين الدين بن علي حسن المخدومي كما تخرج بعد الحصول على الدراسات العليا من جامعة باقيات الصالحات بمدراس (تاملنادو) مع الشهادة للدعوة والإفتاء والتدريس في كل فن من فنون العلوم الإسلامية. حصل على الإجازات في الأحاديث النبوية وسائر فنون العلم من كبار العلماء البارزين من داخل الهند وخارجها.

أسس جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية بمدينة كالكيوت في تاريخ ١٨ أبريل ١٩٧٨م لكفالة الأيتام وتربية الأجيال متزودين بالعلوم الدينية والعصرية حسب متطلبات العصر الحديث ويدرس حاليا ٥٠,٠٠٠ طالب وطالبة في شعبها المختلفة والعديدة في حرم المقر الرئيسي، ويتولى حاليا منصب الأمين العام لها. ولها فروع ومكاتب في جميع الولايات الهندية وأيضا لها معاهد تابعة في دولة الإمارات والمملكة العربية السعودية والدول الخليجية وذلك لتربية وتعليم أبناء الجاليات الهندية المقيمين في تلك الدول.

ذاع صيته داخل الهند وخارجها بالكتابة والخطابة كما اشتهر بخدماته الجليلة في مجال الدعوة والإرشاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين وبناء وتنفيذ الجامعات والكليات والمساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية والمعاهد التربوية والتعليمية لإنقاذ الأمة الإسلامية وأجيالها من ظلمات الجهل والضلالة.

الأمين العام لجمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند ولجمعية العلماء السُّنِّيِّين بعموم كيرالا والمستشار في وزارة الحج والأوقاف وشؤون الأقليات في الهند والمستشار الأعلى لجمعية الشبان السنيين بعموم الهند وراعي عدة معاهد إسلامية ومؤسسات خيرية. وله مكانة عظيمة لدى الحكومات الهندية المركزية والوزراء ومجالس النواب في الحكومة الرئيسية وحكومة ولاية كيرالا وفي بنكلور وكشمير وغيرها.

وله علاقات قوية مع رئساء وأمراء وملوك الدول العربية والإسلامية والأجنبية. وهو عضو في لجنة بعثة الحجاج الهنود الحكومية وفي لجنة تفتيش الكتب العربية الرسمية وفي لجنة الإفتاء الإسلامي.

شارك ومازال يشارك في المؤتمرات الدولية الإسلامية وفي الندوات الرسمية الدولية مع كبار العلاماء والوزراء من عالمَيْ العربي والإسلامي في الامارات والسعودية وقطر والكويت والبحرين وسلطنة عمان والأردن وأمريكا وكندا وسنغافورا وماليزيا كما شارك عدة مرات في المؤتمر الدولي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية.

حصل على جائزة أكبر خدام الإسلام والمجتمع التي منحته دار الإسلام التعليمية سنة ١٩٩٢م وجائزة الداعية الكبير الممنوحة له من قبل المركز الإسلامي برأس الخيمة بالإمارات العربية المتحدة وغيرها.

له عدة مقالات دينية في موضوعات شتى منشورة في المجلات العربية والأردوية والمليبارية داخل الهند وخارجها، كما ينشر رسائل الإسلام ورسائل دين الرحمة والتسامح ضد الإرهابية والتطرفية في محاضراته التي يجتمع فيها عشرات الآلاف لإستماع كلماته من كل جاليات ليل نهار.

يشرف أيضاً على إصدار جريدة (السراج) اليومية باللغة الميليبارية ومجلة (الثقافة) الشهرية باللغة العربية ومجلة (سني فُويْس) الاسبوعية باللغة الميليبارية أيضاً وغيرها.

له مؤلفات عديدة ومن أبرزها

(عصمة الأنبياء) و (تذكير القاري بشرح صحيح البخاري) و (تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية) و (إظهار الفرح والسرور) و (التعايش السلمي بين الأديان المختلفة) و (الدعاء بعد الصلاة) و (فضيلة الجُمُع والجماعات) و (كتاب الحج) و (فيضان المسلسلة) و (وسيلة العباد) و (المورد الروي) وغيرها.